الشيخ
الشنقيطي
مفسراً

بقلم

د. محمد محمد أحمد الشنواني

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد ...

فهذا عالم جليل من علماء الإسلام، تزهو العلوم الإسلامية بحصيلته الضخمة ودرايته التامة وبحوثه الواسعة الفائقة النافعة فى تفسير "**القرآن الكريم**" ... ولا يملك النَّاس أمام إنتاجه العلمى الهائل وتواليفه البارعة - إلاَّ التفاخر بعلمه، والتباهى بفضله وتعظيم ثقافته وفكره الممتاز وهم على حق فى الاعتزاز بمكانته السامية ومقدرته الفذة فأشهر ما ألَّفه وأروع ما صنفه الشيخ/ **محمد الشنقطيى** - رحمه الله - "**أضواء البيان فى تفسير القرآن** بالقرآن"، فكان - رحمه الله – يستخدم مستوى صعيده الفكرى المرتفع فى الدعوى إلى التوسع فى التفسير، ليجد سعادته فى خدمة القرآن والسنة، مما يوحى بأنه لم يكن فى زمانه نظير له فى حمل أمانة التوعية إلى هذه الألوان من الدرس المفيد. ولا ريب أن تعلقهم به وإجلالهم له قد اشتد عندما علموا أنه كان معظماً فى النفوس، ما دخل بلدة إلاَّ أكرمه أهلها وبالغوا فى الإشادة بفضله وكان مستغنياً بعفته وقناعته، سمعه أحد طلابه وهو يقول: لو جئت معي من البلاد بكنز عظيم يكفينى مدى الحياة وأخشى عليه الضياع فقلت له: وما هو؟ قال: القناعة. وكان شعوره فى ذلك قول الشاعر:

الجُـوعُ يُطـرَدُ بِـالرَّغِيْفِ اليَـابِسِ ∴ فَعَـلامَ تُكْثِـرُ حَسْـرَتِى وَوَسَاوِسِـى[1]

(١) يراجع: ترجمة للشيخ الشنقيطى – رحمه الله – ألقاها وأعدها تلميذه الشيخ عطية سالم، جـ١٠، ص٦١، من تتمة أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن، ط عالم الكتب.

والشيخ الشنقيطي هو:

محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن نوح ابن محمد بن سيدى أحمد المختار. من أولاد الطالب أوبك. وهذا من أولاد. أولاد كرير ابن الموافى بن يعقوب بن جاكن الأبر جد القبيلة الكبيرة المشهورة المعروفة "بالجكنيين" ويعرفون بتجكانت ويرجع نسب هذه القبيلة إلى "حمير" وكل من اسمه "رحمه الله" واسم أبيه علم مركب من اسمين وذُكر محمد فيه للتبرك(١).

مولده وموطنه:

ولد "رحمه الله" عام خمسة وعشرين وثلاث مائة وألف للهجرة. عند ماء يسمى (تنبه) من أعمال مديرية (كيفا) من القطر المسمى بـ "شنقيط" وهو دولة موريتانيا الإسلامية الآن. علماً بأن كلمة "شنقيط" كانت ولا تزال اسماً لقرية من أعمال مديرية "أطار" فى أقصى موريتانيا فى الشمال الغربى(٢):

نشأته:

توفى والده – رحمه الله – وهو صغير يقرأ فى جزء "عم" وترك له ثروة من الحيوان والمال فسكن مع أمه عند أخواله وحفظ القرآن على خاله وعمره عشر سنوات وتعلم رسم المصحف على ابن خاله(٣). قال – رحمه الله – :

ثم تعلمت رسم المصحف العثمانى "المصحف الأم" عن ابن خالى سيدى محمد بن أحمد بن المختار وقرأت عليه التجويد فى مقرأ نافع برواية ورش من طريق أبى يعقوب الأزرق وقالون من رواية أبى نشيط وأخذت عنه سنداً بذلك إلى النبى ﷺ(٤).

... "وفى أثناء هذه القراءة درست بعض المختصرات فى فقه مالك؛ كرجز الشيخ ابن عاشر، وفى أثنائها أيضاً درستُ دراسة واسعة فى الأدب على زوجة خالى أم ولد الخال".

(١) المرجع السابق، جـ٩، ص١٨، ط المدنى.
(٢) يراجع نفس المرجع السابق، جـ٩، ص١٩.
(٣) يراجع نفس المرجع السابق، جـ٩، ص ٢١.
(٤) يراجع نفس المرجع السابق، جـ٩، ص ٢٢.

أى: أن ولد خاله يعلِّمه العلوم الخاصة بالقرآن، وأمه تعلِّمه الأدب[١].

قال: "أخذتُ عنها مبادئ النحو؛ كـ "الآجرومية"، وتمرينات ودروس واسعة فى أنساب العرب وأيامهم والسيرة النبوية، ونظم الغزوات لأحمد البدوى الشنقيطى، وهو يزيد على خمس مئة بيت، وشروحه لابن أخت المؤلف المعروف بـ (حماد)، ونظم عمود النسب للمؤلف؛ وهو يعد بالآلاف، وشرحه لابن أخته المذكور على خصوص العدنانيين؛ لأنه مات قبل شرح ما يتعلَّق بالقحطانيين"[٢].

هذه دراسته فى علوم القرآن والأدب والسير والتاريخ، كانت فى بيت أخواله. على أخواله وأبناء أخواله وزوجات أخواله؛ أى: كان بيت أخواله المدرسة الأولى له.

أمَّا بقية الفنون، فقال: "أولاً: الفقه المالكى، وهو المذهب السائد فى البلاد، درست (مختصر خليل)". بدأ دراسته فيه على الشيخ محمد بن صالح إلى قسم العبادات، ثم درس عليه النصف من "ألفية ابن مالك"، ثم أخذ بقية الفنون على مشايخ متعددة فى فنون مختلفة، وكلهم من الجكنيين، ومنهم مشاهير العملاء فى البلاد منهم:

١- الشيخ محمد بن صالح المشهور بابن أحمد الأفرم.
٢- والشيخ أحمد الأفرم بن محمد المختار[٣].
٣- والشيخ العلاَّمة أحمد بن عمر.
٤- والفقيه الكبير محمد النعمة بن زيدان.
٥- والفقيه الكبير أحمد بن مود.
٦- والعلامة المتبحر فى الفنون أحمد فال بن آدة.

وغيرهم من المشايخ الجكنيين.

قال (رحمه الله): "وقد أخذنا عن هؤلاء المشايخ كل الفنون: النحو، والصرف، والأصول، والبلاغة، وبعض التفسير والحديث، أمَّا المنطق وآداب البحث والمناظرة، فقد حصَّلناه بالمطالعة".

---

(١) يراجع: نفس المرجع السابق، جـ٩، ص ٢٣.
(٢) يراجع: نفس المرجع السابق، جـ٩، ص ٢٤.
(٣) وقد ذكره فى "أضواء البيان"، ج٧، ص ٣٤٧، بقوله – بعد أن ذكر اللغات فى مادة (غنى) – ما نصه: "وهذه اللغات التى ذكرناها فى مادة (غنى) كنت تلقيتها فى أول شبابى فى درس من دروس الفقه، لقنيها شيخى الكبير أحمد الأفرم بن محمد المختار الجكنى.

هذا ما أملاه عليَّ (رحمه الله) وسجَّلته عنه[١].

وفاته:

توفى - رحمه الله - فى اليوم السابع عشر من ذى الحجة من عام ثلاث وتسعين وثلاث مائة وألف للهجرة دفن بمقبرة المعلاة بربع الحجون بمكة المكرمة[٢].

منهج الشيخ الشنقيطي في تفسيره:

اهتم الشيخ الشنقيطي –يرحمه الله – بدراسة معظم علوم الدين واللغة كالتفسير والحديث والقراءات والفقه وأصوله وغير ذلك، لكن جهوده في التفسير غلبت على سائر معارفه وظهر أثرها واضحاً في كتابه المسمى "**أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن**".

وقد شهد لهذا التفسير أجل العلماء في كل زمان ومكان كما شهدوا لبقية مؤلفاته القيمة التي أنارت الطريق وثقفت العقول وهيأت النفوس لمعرفة السليم من العقيم والصالح من الطالح.

أ- مزايا تفسيره:

١- إن مؤلفه يرحمه الله شديد العناية بتفسير القرآن بالقرآن.
٢- إن مؤلفه كان على معرفة واسعة بفنون الحديث وأحوال الرجال لذا نراه يتوسع في ذكر الروايات.. ويضعف بعض المذاهب في المسائل بتضعيف أدلتها حديثياً[٣].
٣- أعرض الشيخ الشنقيطي عن ذكر الإسرائيليات في كتابه وهذا أمر يحمد عليه.
٤- كان رحمه الله لا يتعصب لمذهبه المالكي ولا لغيره من المذاهب.

(١) يراجع: تتمة أضواء البيان "الترجمة"، جـ٩، ص ٧.
(٢) يراجع: نفس المرجع السابق، جـ ٩، ص٧.
(٣) يراجع: القول المختصر المبين في مناهج المفسرين. للشيخ/ محمد النجدي، ص٩٠، ط مكتبة دار الإمام الذهبي.

ب- وصفه:

يصف لنا تلميذه الشيخ عطية سالم - رحمه الله منهجه في تفسيره "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، بقوله:

"من المعلوم أن التفسير لا ينحصر فى موضوع، فهو شامل عامٌّ بشمول القرآن وعمومه، فكان المنهج أولاً بيان المفردات، ثم الإعراب والتصريف، ثم البلاغة مع إيراد الشواهد على ما يورد، ثم يأتى إلى الأحكام إن كان موضوع الآية فقهياً، فيستقصى باستنتاج الحكم وبيان الأقوال والترجيح لما يظهر له، ويدعم ذلك بالأصول وبيان القرآن وعلوم القرآن؛ من عام وخاص، ومطلق ومقيَّد، وناسخ ومنسوخ، وأسباب ونزول .. وغير ذلك، وإذا كانت الآية فى قصص؛ أظهر العبر من القصة، وبيَّن تاريخها، وقد يربط الحاضر بالماضى؛ كربط تكشُّف النساء اليوم بفتنة إبليس لحواء فى الجنة ﴿**يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا**﴾ (١)، وفتنته للجاهلية حتى طافوا بالبيت عرايا رجالاً ونساءً، وها هو يستدرجهن فى التكشف شيئاً فشيئاً، بدأ بكشف الوجه، ثم الرأس، ثم الذراعين ... إلخ، فكان أسلوباً علميًّا وتربويًّا فى آن واحد، كما كان أحكاماً وحِكماً، وكان درسه أشبه بحديقة غناء، احتوت أشهى الثمار وأجمل الأزهار، فى تنسيق الغرس وجمال الجداول، تشرح الصدر، وتشفى القلب، وتروق للعين، فيستفيد منه جميع النَّاس، ويأخذ كل واحد ما طاب له وما بوسعه، وقد يستطرد للقاعدة بمبحث كامل، كما استطرد فى الرد على ابن حزم فى ردِّه القياس بإتيانه بأنواعه عند قوله: ﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ**﴾(٢)، وقد طبع فى نهاية "مذكرة الأصول" تعميماً للفائدة.

ولهذا الشمول والاستقصاء لم يكن يترك مجالاً لسؤال ولم يبق لذى حاجة تساؤل... فكان نفعه – رحمه الله – فى المسجد النبوى للمقيم والقادم للقاصى والدانى نفعاً عظيماً"(٣).

(١) الآية ٢٧، من سورة الأعراف.
(٢) الآية ١٢، من سورة الأعراف.
(٣) يراجع: الترجمة، جـ٩، ص ٤٠-٤١.

ج- خُطَّته:

ويبين لنا فضيلة الشيخ/ محمد الشنقيطي يرحمه الله خطته فى كتابه والدافع له لتأليفه فقال: "أمّا بعد فإنا لما عرفنا إعراض أكثر المتسمين باسم المسلمين اليوم عن كتاب ربهم، ونَبْذهم له وراء ظهورهم، وعدم رغبتهم فى وعده، وعدم خوفهم من وعيده، علمنا أن ذلك مما يُعَيِّن على من أعطاه الله علماً بكتابه أن يجعل همته فى خدمته من بيان معانيه وإظهار محاسنه وإزالة الإشكال عما أشكل منه وبيان أحكامه، والدعوة إلى العمل به وترك كل ما يخالفه.

واعلم أن السنة كلها تندرج فى آية واحدة من بحره الزاخر وهى قوله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾[1] ومن أهم المقاصد فى ذلك هذا الكتاب المبارك الذى هذه ترجمته، وأعلم أن من أهم المقصود بتأليفه أمران:

أحدهما: بيان القرآن بالقرآن،لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلِّها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جلَّ وعلا من الله جل وعلا، وقد التزمنا أنَّا لا نبين القرآن إلا بقراءةٍ سَبْعية سواء كانت قراءة أخرى فى الآية المبنية نفسها، أو آية أخرى غيرها، ولا نعتمد على البيان بالقراءات الشاذة، وربما ذكرنا القراءة الشاذة استشهاداً للبيان بقراءة سبعية، وقراءة أبى جعفر ويعقوب وخلف ليست من الشاذ عندنا ولا عند المحققين من أهل العلم بالقراءات.

والثانى: بيان الأحكام الفقهية فى جميع الآيات المبينة (بالفتح) فى هذا الكتاب، فإننا نُبَيِّن ما فيها من الأحكام وأدلتها من السنة، وأقوال العلماء فى ذلك، ونُرجِّح ما ظهر لنا أنه الراجح بالدليل من غير تعصب لمذهب معين، ولا لقول قائل معين لأننا ننظر إلى ذات القول لا إلى قائله، لأن كل كلام فيه مقبول ومردود، إلا كلامه ﷺ، ومعلوم أن الحق حق ولو كان قائله حقيراً"[2]، وقال: "وأعلم أنَّ مما التزمنا فى هذا الكتاب المبارك أنه إن كان للآية الكريمة مُبين

(١) الآية السابعة من سورة الحشر.
(٢) يراجع: "أضواء البيان"، جـ١، ص ٥ – ٦.

من القرآن غير وافٍ بالمقصود من تمام البيان فإنَّا نتمم البيان من السنة من حيث أنها تفسير للمبين (اسم الفاعل)"[1].

وهل التزم الشيخ الشنقطيى بهذا؟

أجيب عن هذا التساؤل ... بأنه – رحمه الله – قد التزم بهذا.

فالتزم فى تفسير القرآن بالقرآن معتمداً على القراءات السبع مبتعداً عن القراءات الشاذة ومستنداً إلى السنة النبوية الطاهرة معتبراً لأقول العلماء الثقات. لا يتعصب لرأى. ولا يحقر قولاً. بل ينظر إلى ذات القول لا إلى قائله، يستوفى الأقوال ويرجح بالدليل والبرهان.

- إن كنت: أصولياً وجدت فى تفسيره دقائقه.
- وإن كنت: من علماء الحديث وجدت فيه بدائعه.
- وإن كنت: من علماء العقيدة وجدت فيه صفاءها ونقاءها؛ بل عقيدة أهل السنة والجماعة التى لا تشوبها شائبة.
- وإن كنت: من علماء كل هذا وجدت فيه رواءك وشفاءك[2].

والراجع إلى هذا التفسير العظيم يجد أن الشيخ الشنقيطى – رحمه الله – كان صادقاً فى وعده فوفى بما التزم به فى مقدمة تفسيره

جهوده فى التفسير:

تفسير "أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن" للشيخ الشنقيطى – يرحمه الله – ما رأيت تفسيراً قديماً أو حديثاً فسر القرآن بالقرآن مثله لا يكاد يتناول آية قرآنية إلا وبين ما تدل عليه، وما لا تدل عليه، ثم أورد الآيات التى تكشف ما لم تدل عليه الآية الأولى فأصبحت الآيات مجتمعة كالسبيكة الواحدة تجلو كل إبهام وتوضيح كل غامض.

ولا يعدل عن ظاهر القرآن الكريم إلاّ بدليل وقد ردَّ ردوداً طويلة على أولئك الذين يصرفون آيات القرآن عن ظاهرها لا لشئ إلاَّ لشئ توهموه فى صدورهم كبعض الصفات

(١) يراجع: نفس المرجع السابق، جـ١، ص٢٨.
(٢) يراجع: اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر، للدكتور/ فهد الرومى، جـ١، ص ١٢٨، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

مثلاً، أو لدليل حسبوه يعارض الظاهر فإذا به يجلو هذا الاشتباه فإذا بالتعارض قد زال، بل ذاب كما يذوب الملح فى الماء.

وفصَّل – رحمه الله تعالى – آيات الأحكام تفصيلاً موسعاً كدت أقول لا مزيد عليه فيه بغية كل باحث ومراد كل فقيه.

أمَّا أصول الفقه فهو الخبير فيه، لا تكاد تمر آية قرآنية فيها لأهل الأصول معترك إلاَّ ودخل فيها وخرج والأنظار ترمقه هممت أن أذكر مثالاً فإذا بالأمثلة تصطرع ولم استطع الحكم لأحدها فلينزل من أراد وردة إلى الحديقة وليقتطف منها ما شاء.

أمَّا مباحث اللغة والبلاغة والبيان ففيه منها ما يوفقك متربعاً على عرش الاقتناع(١).

وهو مدرسة كاملة وصل فيه – رحمه الله – إلى نهاية "قد سمع" ولعل الله ييسر ويوفق من يعمل على إكماله ولو بقدر المستطاع ومن عجيب الصدف أن يكون موقفه – رحمه الله – فى التفسير على قوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾(٢، ٣)، واستغرق هذا سبعة مجلدات:

- صدر المجلد الأول ... فى غرة ذى القعدة سنة ١٣٨٦هـ.
- صدر المجلد الثانى ... فى غرة ذى الحجة سنة ١٣٨٦هـ.
- صدر المجلد الثالث ... فى ربيع الأول سنة ١٣٨٧هـ.
- صدر المجلد الرابع ... فى غرة ذى القعدة سنة ١٣٨٨هـ.
- صدر المجلد الخامس ... فى غرة ربيع الأول سنة ١٣٩٠هـ
- صدر المجلد السادس ... فى غرة محرم سنة ١٣٩٢هـ.
- صدر المجلد السابع ... فى شهر شوال سنة ١٣٩٦هـ أى بعد وفاة الشيخ – رحمه الله – ثم أكمل التفسير من بعده الشيخ عطية محمد سالم فى مجلدين كبيرين.
- صدر المجلد الثامن وهو الأول من التتمة فى شهر رمضان سنة ١٣٩٧هـ.

(١) يراجع: اتجاهات التفسير، جـ١، ص ١٤٧.
(٢) الآية ٢٢ من سورة المجادلة.
(٣) يراجع: الترجمة، جـ ٩، ص ٥٤.

- صدر المجلد التاسع وهو الثانى بدون تاريخ وفيه تفسير جزء عم، وضم معه بعض مؤلفات الشيخ – رحمه الله – وهى:

١ – رسالة فى "بيان الناسخ والمنسوخ من آى الذكر الحكيم":

وهى رسالة مختصرة جداً، تقع فى أربعة صفحات ونصف، "وهى على إيجازها واختصارها كافية شافية للطالب الدارس، أملاها علىَّ فضيلته فى ذى الحجة سنة ١٣٧٣هـ، أمَّا المدرس والباحث المدقق والمناقش للأقوال؛ فإن هناك المطولات لتتمة البحث ..."(١).

وهذه الرسالة شرح لأبيات السيوطى – رحمه الله – فى "الإتقان" بيّن فيها الآيات المنسوخة فى كتاب الله وهى عشرة أبيات، وشرح الشيخ منها ثمانية أبيات يبيّن الناسخ لكل آية أشار السيوطى إلى أنها منسوخة، أمَّا البيتان الأولان؛ فلم يشرحهما لأنهما لا ذكر للآيات فيهما:

والبيتان هما:

قدْ أكْثَرَ النَّاسُ فى المَنْسوخِ من عَدَد ... وأدْخَلُوا فيهِ آياً لَيْسَ تَنْحَصِرُ
وهاكَ تَحْريرَ آىٍ لا مَزيدَ لها ... عِشْرينَ حَرَّرَهَا الحُذَّاقُ والكِبرُ(٢)

ثم شرع فى بيان الآيات مكتفياً بالإشارة الموجزة جداً حتى لا يكاد يفهم المقصود منها أيحاناً.

٢ – رسالة "منع جواز المجاز فى المنزل للتعبد والإعجاز":

وهى رسالة تقع فى اثنتين وستين صفحة، وطبعت فى الجزء العاشر من "أضواء البيان"، ألفها لما رأى جل أهل هذا الزمان يقولون بجواز المجاز فى القرآن، ولم يتنبَّهوا إلى أن القول فيه بالمجاز ذريعة لنفى كثير من صفات الكمال والجلال(٣).

وقد رتبه على: مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة:

- المقدمة فى ذكر الخلاف فى وقوع المجاز فى أصل اللغة، وأنه لا يجوز فى القرآن على كلا القولين.

---

(١) يراجع: الترجمة، جـ ٩، ص ٧٤.
(٢) يراجع: الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى، جـ ٢، ص ٣٠، ج دار عالم المعرفة.
(٣) يراجع: مقدمة رسالة "منع جواز المجاز"، جـ ١٠ من "أضواء البيان".

- الفصل الأول: فى بيان أنه لا يلزم من جواز الشئ فى اللغة جوازه فى القرآن، وذكر أمثلة لذلك.
- الفصل الثانى: فى الجواب عن آيات زعموا أنها من المجاز؛ نحو: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ (١) ... الآية.
- الفصل الثالث: فى الأجوبة على إشكالات تتعلَّق بنفى المجاز ونفى بعض الحقائق ويشتل على أمور لها تعلق بالموضوع.
- الفصل الرابع: فى تحقيق المقام فى آيات الصفات مع نفى المجاز عنها.
- الخاتمة: فى وجه مناظرة النافى لبعض الصفات بالطرق الجدلية(٢)

وقد أحال الشيخ عليه فى الأضواء واقتبس منه مراراً، ومن الأمثلة على ذلك: عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾(٣)، فقال – رحمه الله –: وقد أوضحنا فى رسالتنا التى سميناها "منع جواز المجاز فى المنزل للتعبد والإعجاز" أنه لا يجوز لأحد أن يقول إن فى القرآن مجازاً. وأوضحنا ذلك بأدلته وبينا أن ما يسميه البيانون مجازاً أنه أسلوب من أساليب العربية(٤).

٣ – رسالة دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب:

قال فى مقدمته بعد الحمد والصلاة: "أمَّ بعد؛ فإن مقيد هذه الحروف (عفا الله عنه) أراد أن يبيِّن فى هذه الرسالة ما تيسر من أوجه الجمع بين الآيات التى يُظَنُّ بها التعارض فى القرآن العظيم، مرتباً لها بحسب ترتيب السور، يذكر الجمع بين الآيتين غالباً فى محل الأولى منهما، و ربما يذكر الجمع عند محل الأخيرة، ولا سيما إذا كانت السورة ليس فيها مما يُظنُّ تعارضه إلاَّ تلك الآية؛ فإنَّه لا يترك ذكرها والإحالة على الجمع المتقدم"، وسميته (دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب(٥).

(١) الآية ٧٧ من سورة الكهف.
(٢) يراجع أضواء البيان، جـ ١، ص ٣٧٨.
(٣) الآية ١١٢من سورة النحل.
(٤) يراجع: "أضواء البيان"، جـ ٣، ص ٣٧٨.
(٥) يراجع: دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب للشيخ الشنقيطي ص٣ ط مكتبة ابن تيمية

وسبب تأليفه ما ذكره الشيخ عطية – يرحمه الله – حيث قال: "وقد كان سببه سؤال عند الدرس عن مدى التوفيق بين قوله تعالى: ﴿**وَقِفُوَهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ، مَا لَكُمْ لاَ تَنَاصَرُونَ**﴾(١)، مع قوله: ﴿**فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَانٌّ**﴾(٢)، فأجاب – رحمه الله – باستفاضة، وذكر لها أمثلة عديدة، فسألته عن تأليف فيها؟ فقال، لا أعلمه، فكان رجائى منه أن يؤلف فيه لنفع المسلمين، فوعد خيراً ثم فعل.

وقد تتبع هذا النوع فى القرآن من أوله إلى آخره.

وهو أيضاً تجربة أولى موفقة، ولو أعيدت كتابته؛ فإن فى القرآن بعض مواطن من موضوع الكتاب"(٣).

هكذا قال الشيخ عطية، ولكنه – رحمه الله – لم يدعم كلامه بالشواهد والأمثلة، ولو مثالاً واحداً ... وقد طبع فى خمسين وثلاثة مائة صفحة فى أول الجزء العاشر من "أضواء البيان" .. وهذا الكتاب موضع إجلال وتقدير أهل العلم لما حواه من نفائس ودرر ونكت من مسائل العلم لا تكاد تجدها مجموعة فى غيره.

موقفه من التفسير بالمأثور:

١- تفسير القرآن بالقرآن:

يرى الإمام ابن تيمية "عليه رحمة الله" أن خير تفسير للقرآن هو القرآن نفسه. فما أجمل فى موضع فصل فى موضع آخر وما اخْتُصِرَ فى مكان بُسِطَ فى مكان آخر وقد وضع هذه القاعدة فى المقدمة وأكدها فى غير موضع من مصنفاته. فقد قال: "والتحقيق هو الجمع بين نصوص الأمر والنهى. وتفسير بعضها ببعض والجمع بين نصوص الوعد والوعيد وتفسير بعضها ببعض من غير تبديل شئ منها"(٤).

وتفسير القرآن بالقرآن عنده له فوائد قيمة لا تحقق بدونه. فهناك آية تقيد ما أطلقته آية أخرى. وخاصة إذا كانت بعدها فى تاريخ النزول. فمثلاً آية المواريث فى سورة

(١) الآيتان ٢٤-٢٥ من سورة الصافات.
(٢) الآية ٣٩ من سورة الرحمن.
(٣) يراجع: "أضواء البيان" (جـ ٩ ص٦٩٥، ٦٩٦).
(٤) يراجع: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جـ ١٤، ص ٤٩٨.

الأحزاب قيدت آية المواريث المطلقة فى سورة الأنفال. وأوضح الإمام ابن تيمية هذه القضية قائلاً:

وهذه الآية المقيدة ﴿**وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفاً**﴾(١)، تقضى على تلك المُطْلَقة فى الأنفال ﴿**وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ**﴾(٢)، لثلاثة أوجه:

الأول: فهذه فى سورة الأنفال عقب بدر، وتلك فى سورة الأحزاب عقب الخندق.

الثانى: أن هذا مطلق ومقيد فى حكم واحد وسبب واحد، والحكم هنا متضمن بالإباحة والاستحقاق والتحريم على الغير وإيجاب العطاء.

الثالث: أن آية الأنفال ذكر فيها الأولوية بعد أن قطع الموالاة بين المؤمنين والكافرين أيضاً – فيما سبق من الآيات فى السورة(٣) – فهى دليل ثان وهاتان الآيتان تفسر أن المطلق فى آية المواريث ويكون هذا تفسير القرآن بالقرآن(٤)

وقيمة هذا التفسير أنه يعطى القول الفصل فى القضية فلا يكون هناك حجة لمكابر أو معاند ... ولهذا ركز عليه الشيخ "الشنقيطى" يرحمه الله تركيزاً شديداً، وصرح به فى مقدمة تفسيره بقوله: "بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلَّها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا"(٥).

وقال أيضاً: "واعلم – وفقنى الله وإياك لما يحبه ويرضاه – أن هذا الكتاب المبارك يعنى تفسيره تضمن أنواعاً كثيرة جداً من بيان القرآن بالقرآن غير ما ذكرنا تركنا ذكر غير هذا منها خوف إطالة الترجمة والمقصود بما ذكرنا من الأمثلة مطلق بيان كثرة الأنواع التى تضمنها واختلاف جهاتها – وفى البعض تنبيه لطيف على الكل والغرض

(١) الآية (السادسة) من سورة الأحزاب.
(٢) الآية ٧٥ من سورة الأنفال.
(٣) الآية ٧٣ من سورة الأنفال.
(٤) يراجع: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جـ ١٥، ص ٤٤٣.
(٥) يراجع: أضواء البيان، جـ ١، ص٣.

أن يكون الناظر فى الترجمة على بصيرة مما يتضمنه الكتاب فى الجملة قبل الوقوف على جميع ما فيه[1].

(١) يراجع: نفس المرجع السابق، جـ ١، ص ٢٦.

ومن الأمثلة على ذلك:

١- نراه – رحمه الله – بعد أن ذكر أقوال العلماء فى المراد بالعتيق فى قوله تعالى: ﴿**وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ العَتِيقِ**﴾(١).

يقول: وإذا علمت ذلك فاعلم أنه قد دلت آية من كتاب الله على أن العتيق فى الآية بمعنى القديم الأول وهى قوله تعالى ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا**﴾.. الآية(٢) مع أن المعنيين الآخرين كلاهما حق ولكن القرآن دل على ما ذكرنا وخير ما يفسر به القرآن القرآن(٣).

٢- وعند تفسيره أيضاً لقوله الله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ**﴾(٤).

يقول – رحمه الله –: لم يبين هنا ما العالمون وبين ذلك فى موضع آخر بقوله ﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ، قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ**﴾(٥،٦).

٣- وعند تفسيره كذلك لقوله تعالى ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾(٧).

قال – رحمه الله –: لم يبينه هنا وبينه فى قوله ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ، يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ**﴾(٨، ٩).

٤- وقال – رحمه الله – عند تفسيره لقول الله تعالى ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**﴾(١٠)

لم يبين هنا من هؤلاء الذين أنعم الله عليهم وبين ذلك فى موضع آخر بقوله ﴿**فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً**﴾(١١، ١٢).

---

(١) الآية ٢٩ من سورة الحج.
(٢) الآية ٩٦ من سورة آل عمران.
(٣) يراجع: "أضواء البيان"، جـ ٥، ص ٦٨٦-٦٨٧.
(٤) الآية الثانية من سورة الفاتحة.
(٥) الآيتان ٢٣-٢٤ من سورة الشعراء.
(٦) يراجع: أضواء البيان، جـ ١، ص ٣٣.
(٧) الآية الرابعة من سورة الفاتحة.
(٨) الآيات ١٧-١٨-١٩ من سورة الانفطار.
(٩) يراجع أضواء البيان، جـ ١، ص ٣٤.
(١٠) الآية السابعة من سورة الفاتحة.
(١١) الآية ٦٩ من سورة النساء.
(١٢) يراجع: أضواء البيان، جـ ١، ص ٣٥.

٢ – تفسير القرآن بالسنة:

بعد أن بينا موقف الشيخ الشنقطيى يرحمه الله من تفسير القرآن بالقرآن نود هنا أن نبين موقفه من التفسير بالمأثور – أي من الحديث النبوى الشريف – الذى هو أهمّ مصادر التفسير بالمأثور بعد التفسير بالقرآن الكريم نفسه.

ولا نود أن نخوض فى تلك المسألة الوعرة: هل بيّن النبى ﷺ لأصحابه القرآن كله، وفسّره لهم من أوله إلى آخره، أو لم يفسِّر لهم سوى القليل من الآيات، وهى التى أشكلت عليهم، ولم يهتدو إلى فهمها بسليقتهم العربية. تلك مسألة طويلة الذيل[١]، ونتيجة ونتيجة الرأيَيْن واحدة. وهى أنه قد وصل إلينا من طرق صحاح جزء لا بأس به من تفسيرات النبى ﷺ لبعض آيات القرآن الكريم[٢]، وهو الذى يهمنها هنا لنرى إلى أى مدى مدى كان الشيخ الشنقيطى – رحمه الله – يهتم بهذا النوع من التفسير ويعتمد عليه.

ومن الأمثلة على ذلك:

١ – عند تفسيره لقول الله تعالى ﴿**غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ**﴾[٣]، قال – رحمه الله – ما نصه: "قال جماهير من علماء التفسير ﴿**المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ**﴾ اليهود و ﴿**وَلاَ الضَّالِّينَ**﴾ النصارى وقد جاء الخبر بذلك عن رسول الله ﷺ من حديث عدى بن حاتم رضي الله عنه[٤].

---

(١) يراجع: مقدمة فى أصول التفسير .. لشيخ الإسلام ابن تيمية. فصل: فى أن النبى ﷺ بين لأصحابه معانى القرآن إلى آخر الفصل ص ٣٥ ما بعدها ط دار القرآن الكريم – الكويت.

(٢) ذكرها السيوطى فى آخر كتابه الإتقان جـ٢ ص ٢٤٤ وما بعدها، ولا أظنها قد جمعت كل ما ورد بسند صحيح عنه ﷺ. لإن كل ما ذكره السيوطى ليس محكوماً بصحته، إذ أن السيوطى عُرف بتساهله فى التصحيح وقد نبه هو نفسه إلى ضعف بعضها ..

(٣) الآية السابعة من سورة الفاتحة.

(٤) أخرجه أحمد والترمذى وحسنه عن عدى ابن حبان قال: قال رسول الله ﷺ "إن المغضوب عليهم اليهود، وإن الضالين النصارى". = أحمد فى مسنده، جـ ٤، ص ٢٧٨، ط دار المكتب الإسلامى، والترمذى فى جامعه باب: ومن سورة الفاتحة، جـ ١، ص ٢٨٩، وأخرج ابن مردويه عن أبى ذر قال: سألت النبى ﷺ عن المغضوب عليهم. قال:اليهود. قلت: الضالين، قال: النصارى. فتح البارى، جـ ٨، ص ١٥٩ يعلق عليه ابن حجر بقوله: إسناده حسن .. يقول الإمام القرطبى – رحمه الله –: وهذا حسن وتفسير النبى ﷺ أولى وأعلى وأحسن. الجامع لأحكام القرآن، جـ ١، ص ١٤٦ .. ويقول الإمام السيوطى – رحمه الله –: وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبى ﷺ وجميع الصحابة والتابعين وأتباعهم حتى قال ابن حاتم لا أعلم فى ذلك اختلافاً بين المفسرين جـ٢ ص ٢٤٣.

٢- وعند تفسيره أيضاً لقول الله تعالى ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[١].

قال – رحمه الله –: وهذا دلت عليه الآيتان من الزجر عن النظر إلى ما لا يحل جاء موضحاً فى أحاديث كثيرة منها ما ثبت فى الصحيح عن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**إياكم والجلوس على الطرقات**. فقالوا: ما لنا من بُدّ إنما هى مجالسنا نتحدث فيها. قال: **فإذا أبيتم إلاَّ المجالس فأعطوا الطريق حقها**. قالوا: وما حق الطريق؟ قال: **غض البصر وكف الأذى ورد السلام وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر**"[٢].

أما عن موقفه من الأسانيد:

فنراه رحمه الله يذكر الأحاديث والآثار من غير ذكر الأسانيد على الأغلب مع عزوها لمصادرها، بعد بيانه للآية بالقرآن وذلك تتميماً لبيان معنى الآية كما ذكر فى مقدمة كتابه .. ويتوسع فى الروايات مع بيان صحتها مع ضعفها، وله فى ذلك اطلاع واسع على كلام العلماء فيها ...

ومن الأمثلة على ذلك؛ عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾[٣] يقل ما نصه:

صرح فى هذه الآية، أنه غنى عن خلقه، وأن كفر من كفر منهم لا يضره شيئاً، وبيَّن هذا المعنى فى مواضع متعددة، كقوله عن نبيه موسى: ﴿**وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾[٤]، وقوله: ﴿**إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**﴾[٥]، وقوله: ﴿**فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾[٦]، وقوله: ﴿**قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ**﴾[٧] إلى غير ذلك من الآيات، فالله تبارك وتعالى يأمر الخلق وينهاهم؛ لأنه تضره معصيتهم، ولا تنفعه طاعتهم، بل نفع طاعتهم لهم

(١) الآيتان ٣٠-٣١ من سورة النور.
(٢) أخرجه الإمام البخارى فى كتاب المظالم، باب أفنية الدور والجلوس على الصُّعُداتِ، جـ ٢، ص ٧٠. = صحيح البخارى بشرح السندى، ط دار الحديث.
(٣) الآية ٩٧ من سورة آل عمران.
(٤) الآية الثامنة من سورة إبراهيم.
(٥) الآية السابعة من سورة الزمر.
(٦) الآية السادسة من سورة التغابن.
(٧) الآية ٦٨ من سورة يونس.

وضرر معصيتهم عليهم، كما قال تعالى: ﴿**إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا**﴾(١)، وقال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا**﴾(٢)، وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾(٣).

وثبت فى صحيح الإمام مسلم عن رسول الله ﷺ، فيما يرويه عن ربه أنه قال: "**يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ. كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِى مُلْكِى شَيْئاً، يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ. كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ رَجُلٍ قَلْبِ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ فِى مُلْكِى شَيْئاً**" حديث(٤).

تنبيه: قوله تعالى: ﴿**وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾بعد قوله ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾(٥) يدل على أن من لم يحج كافر الله غنى عنه.

وفى المراد بقوله: ﴿**وَمَن كَفَرَ**﴾ أوجه للعلماء. **الأول:** أن المراد بقوله "ومن كفر"، أى: ومن جحد فريضة الحج، فقد كفر والله غنى عنه، وبه قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد قاله ابن كثير. ويدل لهذا الوجه ما روى عن عكرمة ومجاهد من أنهما قالا لما نزلت ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾(٦) قالت اليهود فنحن مسلمون.

فقال النبى ﷺ: "**إن الله فرض على المسلمين حج البيت من استطاع إليه سبيلاً**. فقالوا: لم يكتب علينا، وأبو أن يحجوا". قال الله تعالى: ﴿**وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾.

الوجه الثانى: أن المراد بقوله ﴿**وَمَن كَفَرَ**﴾ أى: ومن لم يحج على سبيل التغليظ البالغ فى الزجر عن ترك الحج مع الاستطاعة كقوله للمقداد الثابت فى الصحيحين حين سأله عن قتل من أسلم من الكفار بعد أن قطع يده فى الحرب: "لا تقتله، فإن قتلته فإنَّه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول الكلمة التى قال".

الوجه الثالث: حمل الآية على ظهرها وأن من لم يحج مع الاستطاعة فقد كفر.

---

(١) الآية السابعة من سورة الإسراء.
(٢) الآية ٤٦ من سورة فصلت.
(٣) الآية ١٥من سورة فاطر.
(٤) صحيح الإمام مسلم بشرح النووى، كتاب: البر الصلة والآداب، باب: تحريم الظلم جـ١٦ ص ١٣٢ ط مكتبة الدعوة الإسلامية وشباب الأزهر.
(٥) الآية ٩٧ من سورة آل عمران.
(٦) الآية ٨٥ من سورة آل عمران.

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: "**من ملك زاداً وراحلة ولم يحج بيت الله فلا يضره، مات يهودياً، أو نصرانياً؛ وذلك بأن الله قال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾**"(١).

روى هذا الحديث عنهم ابن الترمذى، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وابن مردويه كما نقله عنهم كثير وهو حديث ضعيف ضعفه غير واحد بأن فى إسناده هلال بن عبد الله مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلى، وهلال هذا.

قال الترمذى: مجهول، وقال البخارى، منكر الحديث، وفى إسناده أيضاً الحارث الذى رواه ن على ﷺ.

قال الترمذى: إنه يضعف فى الحديث.

وقال ابن عدى: هذا الحديث ليس بمحفوظ انتهى بالمعنى من ابن كثير.

وقال ابن حجر: فى الكاف الشافى فى تخريج أحاديث الكشاف، فى تخريج هذا الحديث: أخرجه الترمذى من رواية هلال بن عبد ا لله الباهلى، حدثنا أبو إسحاق، عن الحارث، عن على رفعه "من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً".

وقال: غريب وفى إسناده مقال، وهلال بن عبد الله مجهول، والحارث يضعف، وأخرجه البزار من هذا الوجه، وقال لا نعلمه عن على إلا من هذا الوجه، وأخرجه ابن عدى، والعقيلى فى ترجمة هلال، ونقلاً عن البخارى أنه منكر الحديث.

وقال البيهقى: فى (الشُّعَب) تفرد به هلال وله شاهد من حديث أبى أمامة، أخرجه الدارمى بلفظ "من لم يمنعه الحج حاجة ظاهرة، أو سلطان جائر، أو مرض حابس، فمات فليمت إن شاء يهودياً، أو إن شاء نصرانياً" أخرجه من رواية شريك، عن ليث بن أبى سليم، عن عبد الرحمن بن سابط عنه، ومن هذا الوجه أخرجه البيهقى فى الشُّعَب، وأخرجه أبن أبى شيبة، عن أبى الأ؛وص، عن ليث، عن عبد الرحمن مرسلاً لم يذكر أبا أمامة وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات من طريق ابن عدى، وابن عدى أورده فى الكامل فى ترجمة أبى المهزوم يزيد بن سفيان عن أبى هريرة مرفوعاً نحوه. ونقل عن

(١) الآية ٩٧من سورة آل عمران.

القلاس أنه كذب أباالمهزوم، وهذا من غلط ابن الجوزى فى تصرفه: لأن الطريق إلى أبى أمامة ليس فيها من اتهم بالكذب(١).

٣- تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة والتابعين:

جاءت أقوال الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم فى تفسير الشيخ "الشنقيطى" – يرحمه الله – لتوضيح المعنى أو لتزيل الإبهام أو لتبين حكم فقهى أو لتفسر اللفظ أو لتذكر بقراءة معينة وعليه فإننا نجد هذه الأقوال أحياناً فى مجال التفسير المحض لبعض الكلمات أو الآيات القرآنية وأحياناً فى مجال القراءات وهى فى الغالب قراءات تفسيرية والأمثلة الآتية كفيلة بتوضيح ذلك إن شاء الله تعالى:

١- عند تفسيره لقوله تعالى ﴿**وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾(٢).

يقول ما نصه: "فى معنى هذه الآية أوجه للعلماء منها: أن المعنى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين يوم القيامة سبيلا). وهذا مروى، على بن أبى طالب وابن عباس - رضى الله عنهم - ويشهد له قوله فى أولى الآية ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية. وهو الظاهر.

قال ابن عطية: وبه قال جميع أهل التأويل(٣).

٢- وعند تفسيره كذلك لقول الله تعالى: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ**﴾(٤) يقول – رحمه الله: "وقد اختلف العلماء فى المراد بالقروء فى هذه الآية الكريمة هل الإطهار أو الحيضات؟ وسبب الخلاف اشتراك القرء بين الحيض والطهر ... وممن ذهب إلى أن المراد بالقرء فى الآية الطهر، مالك والشافعي وأم المؤمنين عائشة وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر والفقهاء السبعة وأبان بن عثمان والزهرى وعامة فقهاء المدينة، وهو رواية عن أحمد... وممن قال بأن القرء الحيضات، الخلفاء الراشدون الأربعة وابن مسعود وأبو موسى وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وابن عباس ومعاذ بن

(١) يراجع: "أضواء البيان"، جـ ١، ص ٢٨٢ وما بعدها.
(٢) الآية ١٤١ من سورة النساء.
(٣) يراجع: "أضواء البيان"، جـ ١، ص ٤٢٨.
(٤) الآية ٢٢٨ من سورة البقرة.

جبل وجماعة من التابعين وغيرهم. وهو الرواية الصحيحة عن أحمد .. واحتج كل من الفريقين بكتاب الله وسنة نبيه.

٣- وعند تفسيره لقوله الله تعالى: ﴿**وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً**﴾(١) يقول – رحمه الله –: أنها أخوة فى الأم. وقرأ سعد بن أبى وقاص: (وله أخ أو أخت من أم)، والتحقيق أن المراد بالكلالة عدم الأصول والفروع كما قال الناظم:

ويســـألونك عـــن الكلالـــة هـــى انقطـاع النسـل لا محالـة
لا والـــد يبقـــى ولا مولـــود فـــانقطع الأبنـــاء والجـــدود

وهذا قول أبى بكر الصديق ﷺ وأكثر الصحابة وهو الحق إن شاء الله تعالى(٢).

٤- وعند تفسيره – كذلك – لقول الله تعالى: ﴿**ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا**﴾(٣)، بعد أن ذكر رأى الإمام الشافعى – رحمه الله – فقال ما نصه:
"وقرأ الآية طلحة بن مصرف (ألا تعيلوا) بضم التاء من أعال إذا كثر عياله على اللغة المشهورة(٤).

موقفه من أسباب النزول:

إن المتدبر لكتاب الله عز وجل يجد أن هناك آيات نزلت ابتداء وآيات نزلت بعد حادثة معينة وقعت سؤال وجه إلى النبى ﷺ فهذه الأمور كانت سبباً فى نزول كثير من الآيات التى تسمى أسباب النزول .. ومنهج الشيخ الشنقطيى – رحمه الله – على سبيل العموم أنه بعد أن يعرض لجانب من شرح الآية فيذكر سبب نزولها، فتارة يعبر عن ذلك ويقول: أخرج ابن جرير عن ابن عباس .. وتارة لا ينسبها. ومنهجه على وجه الخصوص أنه يذكر للآية فى سبب نزولها رواية واحدة وأحياناً يذكر فى سبب نزولها روايتين.

ومن الأمثلة على عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ**﴾(٥) يقول ما نصه: "وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: نزلت ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي**

(١) الآية ١٢من سورة النساء.
(٢) يراجع: "أضواء البيان"، جـ ١، ص ٣١٣.
(٣) الآية الثالثة من سورة النساء.
(٤) يراجع أضواء البيان، جـ ١، ص ٤٢٦.
(٥) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

الدِّينِ﴾ فى رجل من الأنصار من بنى سالم بن عوف يقال له "الحصين" كان له ابنان نصرانيان وكان هو مسلماً، فقال للنبى ﷺ: ألا استكرههما فإنهما قد أبيا إلاَّ النصرانية؟ فأنزل الله الآية...[١]

وعند تفسيره أيضاً لقول الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ**﴾[٢].

يقول – رحمه الله–: "قال بعض العلماء نزلت فى صد المشركين .. عن البيت الحرام فى عمرة الحديبية عام ست[٣].

وعند تفسيره كذلك لقوله تعالى: ﴿**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ**﴾[٤].

يقول – رحمه الله –: وروى عن مجاهد أن سبب نزول هذه الآية الكريمة، أن أعرابياً أتى النبى ﷺ فسأله، فقرأ عليه رسول الله ﷺ ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً**﴾[٥] فقال الإعرابى: نعم. قال ﴿**وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً...** ﴾ الآية. قال الأعرابى: نعم، ثم قرأ عليه كل ذلك يقول الأعرابى: نعم. فأنزل الله تعالى: ﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا...** ﴾[٦، ٧].

(١) يراجع: "دفع إيهام الاضطراب"، ص ٤٥.
(٢) الآية ١١٤ من سورة البقرة.
(٣) يراجع "أضواء البيان"، جـ ١، ص ٨٤.
(٤) الآية ٣١ من سورة يونس.
(٥) الآية ٨٠ من سورة النحل.
(٦) الآية ٨٣ من سورة النحل.
(٧) يراجع: "أضواء البيان"، جـ ٣، ص ٣٢٨.

موقفه من المسائل اللغوية:

يهتم – رحمه الله – بهذه الناحية ويتوسع فيها أحياناً كما قال فى مقدمة تفسيره. وقد تضمن هذا الكتاب أموراً زائدة على ذلك كتحقيق بعض المسائل اللغوية وما يحتاج إليه من صرف وإعراب والاستشهاد بشعر العرب(١).

ومن الأمثلة على ذلك عند تفسيره لقول الله: ﴿**وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ**﴾(٢). نراه يقول: "ومما يوضح ما ذكرنا أن قوله ﴿**الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ**﴾ موصول وصلته جملة فعلية، وقد تقرر عند علماء النحو فى المذهب الصحيح المشهور أن الصفة الصريحة كاسم الفاعل واسم المفعول الواقعة صلة أل بمثابة الفعل مع الموصول.

ولذا عمل الوصف المقترن بأل الموصولة فى الماضى لأنه بمنزلة الفعل كما أشار له فى الخلاصة.

وإنْ يَكُنْ صِلَةَ أَلْ فَفِى المُضِىِّ ∴ وَغَيْرُهُ إِعْمَالُهُ قَد ارْتُضِى(٣)

موقفه من الأحكام الفقهية:

احتوى القرآن الكريم على الكثير من التشريعات والتوجيهات الإلهية التي فيها صلاح الخلق وسعادة البشرية. والتي تقف جميع القوانين البشرية إزاءها وقفة الأقزام أمام العمالقة العظام وقد قيل إن آيات الأحكام في القرآن الكريم قدر خمسمائة آية وأكثر من ذلك..

وأياماً كان الأمر فإن آيات القرآن الكريم لا تخلو من الهداية. والعظة. والإرشاد مهما اختلفت الموضوعات التي تعالجها.

ولقد أشار الشيخ الشنقيطي يرحمه الله إلى موقفه من الأحكام الفقهيةوذلك في جملة حديثه عن منهجه في التفسير فقال:

(١) يراجع: "أضواء البيان"، جـ ١، ص٦.
(٢) الآية الخامسة من سورة المائدة.
(٣) يراجع: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشيخ الشنقطيى، ص ١١٠.

ونرجح ما ظهر لنا أنه الراجح من غير تعصب لمذهب معين ولا لقول قائل معين. لأننا ننظر إلى ذات القول لا إلى قائله. لأن كل كلام فيه مقبول ومردود إلا كلامه ﷺ(١)، والشاهد على ذلك هو أن.. الشيخ الشنقطي يرحمه الله "وإن نشأ في بيئة يتمذهب أهلها بالمذهب المالكي إلا أنه رحمه الله كان لا يتعصب له ولا لغيره"(٢). والأمثلة على ذلك كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر. شرحه الموسع للطلاق وأحكامه في تفسير سورة البقرة. وأيضاً عند تفسيره لسورة "الحج" وتعرضه لكل المسائل الفقهية وذلك في (٧٥٢) صفحة.

وهو في خلال تلك البحوث القيمة يهتم بعلم أصول الفقه اهتماماً بالغاً ولا غَرْو في ذلك فهو الأصولي البارع وله في ذلك مصنف وهو "المذكرة في أصول الفقه" على روضة الناظر للموفق ابن قدامة. ومما ينبغي لقارئها أن يتنبه له وهو أن الشيخ لم يلتزم تفسير كلام الموفق تفسيراً تحليلياً كما يفعله الأستاذ لطلابه عندما يشرح لهم متناً هو ملزم ببيانه لهم. إنما طريقته أن يستهل كل فصل بذكر طرف كلام ابن قدامة. ثم يشرع بذكر حاصل ما ذكره في الفصل فيلخصه ويرتبه عبارة واضحة ثم يستدرك عليه إن كان ثمة استدارك. أو يرجح خلافه إن كان. أو يستدل له إن ترك المؤلف الاستدلال. أو يتمم التقسيم إن أخل المؤلف بتمامه وهكذا...

موقفه من الأسماء والصفات:

لقد ذكر القرآن الكريم أسماء وصفات كثيرة لله عز وجل وأسماء الله سبحانه وتعالى كلها حسنى وصفاته كلها صفات الكمال، له الكمال المطلق المنزه عن العيوب والنقائص. إذ هو سبحانه لا يشبه أحداً من خلقه في أسمائه وصفاته،. كما لا يشبهه أحد من خلقه قال تعالى: ﴿**كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ (٣)، وقد اختلفت مواقف الناس وتباينت اتجاهاتهم نحو فات الله عز وجل وأسمائه الحسنى. حسب اختلاف مشاربهم وتعدد مناهجهم ظهرت هذه الاتجاهات على شطح التفسير.

(١) يراجع الأضواء، جـ١، ص ٥.
(٢) يراجع القول المتختصر المبين، ص ٩٠.
(٣) الآية (١١) من سورة الشورى.

والشيخ الشنقيطي يرحمه الله من العلماء السلفيين البارزين الذين نصروا العقدية السلفية بأقوالهم وأقلامهم. وقد ألف في هذا الباب رسالة في الأسماء والصفات أسمها "منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات"(١). قامت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بطبعها وتوزيعها بين فيها مذهب أهل السنة والجماعة من إثبات الأسماء الإسلامية بالمدينة المنورة بطبعها وتوزيعها بين فيها مذهب أهل السنة والجماعة من إثبات الأسماء والصفات من غير تمثيل ولا تشبيه(٢).

لذلك نراه يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ**﴾(٣)، ما نصه.. هذه الآية وأمثالها من آيات الصفات كقوله تعالى ﴿**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾(٤)، ونحو ذلك أشكلت على كثير من الناس إشكالاً ضل بسببه خلق لا يحصى كثرة. فصار قوم إلى التعطيل وقم إلى التشبيه – سبحانه وتعالى علواً كبيراً عن ذلك كله، والله جل وعلا. أوضح هذا غالية الإيضاح ولم يترك فيه أي لبس ولا إشكال وحاصل تحرير ذلك أنه جل وعلا بين أن الحق في آيات الصفات مركب من أمرين.

أحدهما: تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة الحوادث في صفاتهم سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

والثاني: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه أو وصفه به رسول الله ﷺ لأنه لا يصف الله أعلم من الله ﴿**أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ**﴾(٥)، ولا يصف الله بعد الله أعمل بالله من رسول الله ﷺ الذي قال فيه ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾(٦)، فمن نفى عن الله وصفاً أثبته لنفسه في كتابه العزيز أو أثبته له رسول الله ﷺ زاعماً أن ذلك الوصف يلزمه مالاً يليق بالله جلا وعلا. سبحانك هذا بهتان عظيم؟؟

ومن اعتقد أن وصل الله يشابه صفات الخلق. فهو مشبه ملحد ضال. ومن أثبت الله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسول الله ﷺ مع تنزيهه جل وعلا عن مشابهة الخلق.

(١) وهي رسالة صغيرة تقع في (٢٦) صفحة من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
(٢) يراجع. القول المختصر المبين، ص ٨٧.
(٣) الآية (٥٤) من سورة الأعراف
(٤) الآية (١٠) من سورة الفتح.
(٥) الآية (١٤٠) من سورة البقرة.
(٦) الآية (الرابعة والخامسة) من سورة النجم.

فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال، والتنزيه عن مشابهة الخلق سالم من ورطة التشبيه والتعطيل. والآية التي أوضح الله بها هذا هو قوله تعالى ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾(١). فنفى عن نفسه جل وعلا مماثلة الحوادث بقوله: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾(٢). وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾(٣). فصرح بهذه الآية الكريمة بنفي المماثلة مع الاتصاف بصفات الكمال والجلال(٤).

وقبل أن أضع القلم أسأل الله بأسمائه الحسنى وفاته العلى للشيخ رحمه الله سابغ الرحمة والرضوان والفردوس الأعلى في الجنان. وأن يجزيه عن المسلمين وطلاب العلم خير الجزاء. وأن يوفق الباحثين بالاستفادة من علمه ومنهجه وأن يجمعنا به في دار كرامته. وأن يوفقنا لرد ش من جميله وفاء لبعض حقه علينا إنه جواد كريم وهو سبحانه خير مسئول وأكرم مأمول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا وآله وصحبه أجمعين.

(١، ٢، ٣) الآية (١١) من سورة الشورى.

(٤) يراجع أضواء البيان، ج٢، ص ٣٠٤ وما بعدها.